



MINISTRE DE L'ENSEIGNEMENT SUPERIEUR ET DE LA RECHERCHE
SCIENTIFIQUE

Expériences Pédagogiques

Revue en ligne éditée par l'Ecole Normale Supérieure d'Oran-Algérie

<http://exp-pedago.ens-oran.dz>

Numéro 2- juin 2017

« L'approche textuelle »

Auteur : د.سامية بن يامنة

Appartenance : Ecole Normale Supérieure d'Oran-
Algérie

Courriel : benyamnasamia@yahoo.fr

Titre : "فعالية المقاربة النصية في البناء المعرفي"

–مهاارة القراءة أنموذجا–

<http://exp-pedago.ens-oran.dz> Numéro 2- juin 2017

« L'approche textuelle »

تقديم:

تعد التعليمية المجال الدينامي الذي تتفاعل فيه المعارف وفق طرائق وكيفيات تتحدد من خلالها أدوار أقطاب العملية التعليمية التعلمية ككل. أساسها قائم على تقديم مواد معرفية متعددة، ولهذا أصبح الاعتماد على النصوص كأساس لتقديم المعارف وبنائها الأساس في طرح المعرفة التربوية وتقديم مختلف الأنشطة التي من شأنها أن تسهم بفعالية في امتلاك ناصية اللغة وعلومها، وبإشراك المتعلم في ذلك. وهذا ما ركزت عليه وزارة الوطنية الجزائرية بعدما أعادت النظر في المناهج والطرائق التي ركزت على تقديم المعرفة مباشرة وشحنها للمتعلم، وراهنّت على الكم الهائل من المعارف، مهمة بذلك دور المتعلم الذي كان مستهلكا فحسب. فانتقلت إلى بيداغوجيا أخرى سُميت بالمقاربة بالكفاءات، وقد اعتمدت المقاربة النصية في تعليمية اللغة متّخذة من النص محور بناء كل التعلّيمات المعرفية، والأنشطة اللغوية المقتبسة مبادئها من اللسانيات النصية. وأعادت الاعتبار للمتعلم، واعتبرته عنصرا فعالا في العملية التعليمية.

وعلى هذا الأساس نطرح الإشكالية التالية: ما مدى فعالية المقاربة النصية في العملية التعليمية للغة؟ وإلى أي مدى تظهر فعاليتها في عمليتي البناء المعرفي و تنمية مهارة القراءة؟ وقبل الولوج في إثراء هذه الإشكالية لا بد لنا من معرفة طبيعة المقاربة النصية، وأهميتها في العملية التعليمية للغة.

1- ماهية المقاربة النصية:

تعد المقاربة النصية المقاربة المعتمدة في البيداغوجيا التربوية المعاصرة في الجزائر؛ وهي في أساسها "رافد قوي يمكن المتعلم من ممارسة كفاءاته عن طريق تفعيل مكتسباته، حيث أنّ النشاطات المقررة في تدريس اللغة العربية تنطلق من النص، فالنص يصبح المحور الرئيس الذي تدور في فلكه هذه النشاطات خدمة لملكة التعبير الكتابي والشفهي لدى المتعلم".¹ ومصطلح "المقاربة النصية" عنوان مركب من مصطلحين؛ المقاربة والنص ولا بد لنا من معرفة العلاقة بينهما وما سر هذا التداخل.

¹. عبد اللطيف الغرابي وآخرون /معجم علوم التربية مصطلحات البيداغوجيا، والديداكتيك/الرباط، دار الخطابي ط، 1994/ص185.

فالمقاربة في أبسط تعريف لها هي "الكيفية العامة التي يجري بمقتضاها إدراك ودراسة مسألة من المسائل أو تناول مشروع أو حل مشكلة"²؛ وبمعنى آخر هي: "تصور وبناء مشروع عمل قبل للإنجاز، على خطة أو استراتيجية"³.

نستشف من خلال هذا التعريف أنّ المقاربة هي خطة هيكلية مبنية على أسس ومبادئ، مراعية العوامل والظروف المناسبة والهادفة إلى تحقيق أهداف تقويمية في مجال التعليم. أما "النص" فقد تعددت مفاهيمه بحسب نوعية الدراسة، إلا أنّنا سنتطرق إليه من منظور بيداغوجي، وهذا باعتباره أداة إجرائية ضمن الممارسة التعليمية، وهذا ما نوّه به "محمد مفتاح" في كتابه "مسألة مفهوم النص"، إذ هناك غايات أخرى تحكم النص وتضبطه غير التماسك والاتساق والانسجام، وهذه الغايات هي؛ تثبيت المعلومات، وتجزير السنن وترسيخ السلوك... وتنوع النص إلى نصوص ذات نصيات مميزة، فصار يقال: النص القانوني والنص الأدبي والنص العلمي والنص التعليمي⁴.

فيتبدى لنا من خلال هذا التعريف أنّ النص وفق المقاربة النصية "هو كل خطاب مكتوب ورد في سياق تواصل عادي، يحمل معارف متنوعة، ويخضع لمعايير نصية، تسهم في بنائه وتحقيق غاياته".

وبهذا ندرك أهمية المقاربة النصية باعتبارها مقاربة بيداغوجية تصبو في جوهرها إلى امتلاك المعارف التي يحملها النص الثقافية والأخلاقية والاجتماعية من جهة، وتسعى أيضا إلى إكساب المتعلم ناصية اللغة وتشكّلها وفق بنيتها النصية من جهة أخرى. ومنه يغدو "النص" المنطلق أو الأساس في بناء هذه التعلّات على اختلاف أنواعها وأماطها. وكل ذلك بحسب ما تقتضيه مختلف المهارات، ومنها مهارة القراءة التي سنكتفي بها في هذا البحث.

3- المقاربة النصية وفعل القراءة:

²- بدر الدين بن تريدي، قاموس التربية الحديث، الجزائر، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية 2010، ص 334.

³- ينظر حاجي فريد، بيداغوجيا التدريس بالكفاءات الأبعاد والمتطلبات، الجزائر، دار الخلدونية، 2000، ص 11.

⁴- محمد مفتاح، مسألة مفهوم النص، المغرب، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، 1997، ص 03.

حظي مصطلح "فعل القراءة" بمكانة مميزة من لدن التربويين والموجهين اللغويين أثناء المبادرة بالإصلاح؛ فلم تعد نظرية القراءة آلية تعنى بكيفية إنتاج المعرفة بأداء النص، وإنما أضحت تركز على المعرفة التي تنتجها القراءة المنهجية. والمقاربة النصية تسعى سعياً حثيثاً من أجل تمكين المتعلم من اكتساب آلية القراءة الشخصية لمختلف النصوص؛ بل تمكنه في النهاية من إنتاج نص دونما الحاجة إلى توجيه المعلم أو مساعدته.

وهي تسلط الضوء على القراءة المنهجية وكيفية اكتسابها، وتقنيات التحكم في أدواتها التي قد تنعش العملية التعليمية. وهنا نؤكد أنها تبقى في جوهرها "ممارسة تربوية" تستوجب القيام بالأنشطة التعليمية التي تمكن المتعلم من التحصيل الواعي لمستدعيات هذه المهارة.

4- ماهية القراءة:

تعد القراءة من أعظم الأنشطة التي تساعد المتعلم على اكتساب معارفه، وتوسيع مداركه وخبراته، وتنمية لغته وإثرائها، لذا أعتبرت عملية فكرية ديناميكية تنطلق من التعرّف على أصوات اللغة، إلى فك رموزها وإدراك معاني تعابيرها وجمالها، واكتشاف استعمالاتها الحقيقية والمجازية، والتعمق في استدلالاتها، وهي تقوم في جوهرها على مجموعة من العمليات. وتغدو العملية الفكرية الأساس في هذه المهارة، فعلى مستوى النمو الفكري للمتعلم يسمح له باكتساب ذلك الوعي الفونولوجي الذي هو الجوهر الأساسي لتعلم القراءة، ثم اكتشاف المعارف التي يبني عليها الخطاب اللغوي، والعمل على تحصيلها.

وهنا نشير إلى أنّ عملية القراءة تغدو عملية دينامية من خلال الاكتشاف الناشط للمعنى الذي ينطلق مع بداية قراءة النص ويستمر أثناءها عن طريق كشف التصور الفكري الكامن في النصّ، وتعديله⁵.

أمّا تفاعلية عملية القراءة فتكمن في الربط الذي يحدثه المتعلم بين تصوراتهِ وإسقاطها على النصّ، وبالتالي تصبح هناك كفاية قرائية التي تعنى بتحقيق ما يلي⁶:

1-التمكّن من فك رموز لغة معيّنة، وذلك من خلال المعنى المستتر والمضمر في النصّ ضمن سياق معيّن.

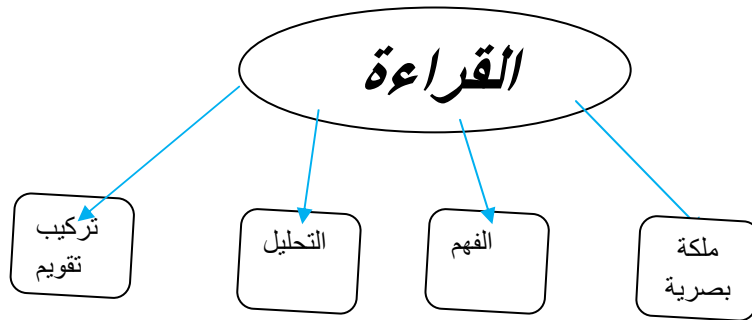
2-التمكّن من الفهم القرائي للنصّ بأبعاده المختلفة في محاولة استنطاق نصّ الكاتب، وإعادة بعث فيه الحياة إثر استثمار الاستراتيجيات المتنوعة التي توصل إلى فهم المعنى الكلي.

3-وهذا الفهم يبدأ من المادة اللغوية للنصّ، ثم وصولا إلى بنيته الفكرية، التي قد تتوقع خلفيات البناء وغيرها، لكن ما يصدر الإشارة إليه أنّ المتعلم أو المتدّرس لا يصل إلى عملية الفهم إلّا إذا تمّرس على استراتيجيات القراءة الناجحة.

ومن هنا يتبيّن لنا أنّ مصطلح القراءة يقترن بمفهومين اثنين مفهوم تقليدي "يرتبط بالجانب الميكانيزمي الصرف، حيث يتم اختزالها في مجرد عملية تتبع بصري للرموز اللغوية وتجميعها على نحو معيّن لإدراكها ثم التلفظ بها لأداء معنى معيّن".

أما المفهوم الثاني فهو المعنى الجوهرية والذي نعول عليه في هذا البحث؛ وهو "الجانب السيكولساني والذهني، بحيث تشمل بالإضافة إلى عمليات الاكتشاف والتعرف والتفسير والتأويل"⁷ وبهذا تضحى القراءة بالاستناد إلى أساسيات المقاربة النصية معرفة تستدعي تفعيل مجموعة من المهارات؛ كالفهم والتحليل والتطبيق والتركيب والتقوم، فهي فاعلية تمارس على النصوص القرائية، وليست مجرد استقبال فحسب.

مشروع مخطط لتبيين أكثر:



⁷-المصطفى بوشوك: تعليم وتعلم اللغة العربية وثقافتها، ص270،

نستنتج من خلال هذا المخطط أنّ القراءة تقتضي جملة من العناصر الأساسية في مقدمتها الملكة البصرية التي تسمح للمتعلم أن يتعرف على الحروف المكونة للكلمات، ثم الجمل وصولا إلى النصوص، وبالتالي يحاول فهم المعاني المتضمنة فيها وتفسيرها؛ كأن يدرك العلاقة بين الصورة والألفاظ الدالة عليها، وأن يعي أيضا العلاقة بين الصورة والجملة، وأن يرتب صوراً وفق جمل أو كلمات، وبالتالي اكتشاف البناء المعرفي الذي يحمله النص بمختلف تشكلاته.

أمّا على مستوى التحليل فتكسب القراءة المتعلم كفاية قرائية من نوع خاص، تمكنه من تحليل الجمل إلى ألفاظ والفقرة إلى جمل، والموضوع إلى فقرات⁸، كأن يحلّل على سبيل المثال لا الحصر بعض الجمل بهدف التعرف على صيغ المفرد، والتذكير، وأدوات الربط وغيرها، إلى أن ينتهي مثلا إلى تركيب وتقويم أهداف ومرامي النصوص، وبالتالي يكون فيها المتعلم كفيلا بما يلي:

1- قراءة الموضوع وفهمه سواء أكان قصيرا أو مطولا في سرعة معقولة.

2- التمييز بين مختلف القيم الماثلة في النصوص.

3- أن ينقد فكره وعمله في ضوء فكر الآخرين، وأن يعلق على غيره في ضوء معايير تناسب وعمره الزمني والعقلي وغيرها⁹.

4- المقاربة النصية وإجراءاتها البيداغوجية:

إنّ نجاح العملية التعليمية التعلمية مرهون بمدى توفر الوسائل، وتصميم الهياكل اللازمة التي تضمن نجاحها ومن أهم هذه الهياكل "المنهاج"؛ فهو "الوثيقة البيداغوجية الأساسية التي تصدر عن الجهة الوصية، وهي وزارة التربية الوطنية الجزائرية، ويشمل كل العمليات التكوينية التي من شأنها إثراء تجربة المتعلم خلال فترة معينة"¹⁰.

ويأخذ المنهاج بعين الاعتبار الأهداف الخاصة بالعملية التعليمية لكل نشاط، وفي مقدمتها أهداف نشاط القراءة عبر مراحل التعليم، سواء في التعليم الابتدائي أو المتوسط أو الثانوي، انطلاقا من النصوص المبرمجة في الكتاب المدرسي، وهي كالاتي:

⁸. فهم مصطفى، مهارات القراءة، قياس وتقويم، ص 22.

⁹. ينظر، فهم مصطفى، مهارات القراءة قياس وتقويم، ص 19.

¹⁰. فريدة شنان ومصطفى هجرسي، المعجم التربوي، الجزائر، المركز الوطني للوثائق التربوية، 2009، ص 37.

- 1- استثمار النصوص في تثبيت المكتسبات اللغوية، وفي الإبداع الأدبي والفكري.
- 2- تحليل النص إلى وحدات، والوحدات إلى أجزاء، تم إعادة البناء.
- 3- إثراء لغة المتعلم بثروة الألفاظ والعبارات والتراكيب والأساليب.
- 4- القدرة على ممارسة تقنيات التعبير.
- 5- تلخيص النص مشافهة وكتابة وغيرها.

نستشف أنّ هذه الأهداف في جوهرها تقوم على إكساب المتكلم جملة من الكفاءات؛ في مقدمتها الكفاءة اللغوية التي تمكن المتعلم من القراءة المنهجية الواعية، وتسانده في تحليل النصوص دلاليا وتركيبيا، وإعادة بنائها، وحتى النسج على منوالها. ويمكن بيان ذلك أكثر بهذا الجدول التوضيحي الذي يكشف عن أهمية المقاربة النصية وعلاقتها بنشاط القراءة¹¹:

النشاط : قراءة مشروحة	
أهدافه	أهميته
تتوزع أهداف هذا النشاط على مستويات شتى في مقدمتها؛ القراءة الصامتة، مثلا في مرحلة التعليم المتوسط يطمح المنهاج إلى أن يقرأ المتعلم النص قراءة صامتة وواعية، وأن يحلل أيضا النص، ويستخلص المغزى منه.	القراءة مهمة في تعلم مختلف الأنشطة، ولا تقتصر على المجال اللغوي، بل تشمل كل مجالات المعرفة.
-أما على مستوى الأداء الجهري فيستطيع المتعلم أن يكتسب فنيات الوقف وبمارسها، وأن يسترسل في القراءة الجهرية. -أن يصل إلى قراءة معبّرة، ويميّز بين النص	-حسن القراءة والانتفاع منها، وامتلاك القدرة على ممارستها؛ مثلا القراءة الصامتة فمن مزاياها بالنسبة للمتعلم أن تفتح له المجال في تبيان قدراته، وقد تخفف عنه من

¹¹ - ينظر منهاج السنة الأولى من التعليم المتوسط. ص 21.

العلمي والأدبي ومختلف الأشكال التعبيرية كالقصة والحوار والسرد وغيرها.	الحجل والخوف من الوقوع في اللحن. -منح للمتعلم حرية القراءة وفي إظهار مهاراته وقدراته.
---	--

فمن خلال هذا النموذج من القراءة في ظل المقاربة النصية يمكن أن نبين أكثر أهمية القراءة في النقاط التالية:

1-التعويد البصري على مختلف الكلمات التي تكوّن الجمل، وكذا تحليل بنيتها، وبالتالي الوصول إلى تحديد معانيها.

2-بناء رصيد مناسب من المفردات التي تمكن المتعلم من فهم مختلف المقاطع التي تكوّن فقرات النص.

3-خلق رغبة في القراءة وحب الاكتشاف وشغف القراءة.

4-محاولة إكساب المتعلم فصاحة نطق الحروف بمخارجها الصحيحة.

وهذه الأهداف خاصة بالتعليم الابتدائي، أما في المرحلتين المتوسطة والثانوية فقد ترتقي المرامي لتشمل الأهداف التالية¹²:

1-توسيع خبرات التلاميذ، وإثرائها عن طريق القراءة الموسّعة.

2-تنمية النزعة الجمالية القرائية لدى التلميذ والطالب معا، وكذا ترقية أذواقهم بحيث يتمكنون من اختيار الأساليب الجميلة والمناسبة لتعبيراتهم سواء الكتابية أم الشفهية، كما يستثمرون هذه الأساليب في تلخيصاتهم لمجمل النصوص الأدبية.

3-الاستمرار في تنمية قدرات المتعلمين ومهارتهم، ومنها على سبيل المثال لا الحصر السرعة في النظر والاستبصار في القراءتين الصامتة والجهرية.
ويمكن تفصيلها أكثر في المراحل التعليمية الثلاث:

المرحلة الابتدائية: و هي القاعدة والأساسية حيث يكتسب المتعلم فيها مهارة القراءة، وينمى فيه حب الاكتشاف والمطالعة، فقد تزداد ثروته اللغوية، باكتساب كلمات جديدة، والتعرف على استعمالاتها. كما قد يتمكن المتعلم إلى حدّ ما من مخارج الأصوات ومختلف الأداءات الفونولوجية. وتنمو لديه بدرجة أقوى مهارات المذاكرة ، ومهارات القراءة الجهرية، ودرجات تذوقها للمواد التي يود قراءتها¹³.

2-مرحلة التعليم المتوسط:

يسعى المتعلم إلى استثمار كل ما اكتسبه من المرحلة السابقة، وينمي أكثر قدراته القرائية، بيد أنّ ثمة متعلمين كثر لم يتمكنوا من المهارات العامة للقراءة، ومّا يزيد الأمر صعوبة الكتاب المسطر لهم، والذي قد يستلزم مستوى عاليا من القراءة فضلا عن وجود كتب أخرى تتطلب نفس المهارات كالفهم ، مهارات الإدراك الحسي وغيرها.

خاتمة:

نستخلص من خلال كلّ ما تقدّم حول المقاربة النصية وعلاقتها بمهارة القراءة، أنّ النص مهما كان نوعه منطوقا أو مكتوبا في العملية التعليمية التعلمية قد شهد قفزة نوعية فلم يعد أداة تعليمية محايدة، ومّا أضحت نقطة الانطلاق في بناء كل التعلّيمات اللغوية والمعرفية، كما ارتبط تعلم اللغة ككل في ضوء المقاربة النصية بفهم المتعلم لمختلف النصوص، والقدرة على تمثّل آلياتها في الإنتاج اللغوي أداء وكتابة.

وقد أرجعت المقاربة النصية الأولوية في تحقيق غاياتها للمتعلّم؛ إذ ساعدته على امتلاك مختلف المهارات، منها مهارة القراءة الصحيحة بكل معطياتها، فلا يمكن تعليم أو تعلّم أي نشاط من الأنشطة اللغوية بمعزل عن النص، وهذا ما ساعد أيضا على الكتابة السليمة، والحديث بطلاقة وفصاحة.

المصادر والمراجع:

¹³ - ينظر، حسني عبد الهادي، القراءة طبيعتها ومناشط تعليمها، ص133، 132.

- عبد اللطيف الفارابي وآخرون، معجم علوم التربية مصطلحات البيداغوجيا، والديداكتيك، الرباط، دار الخطابي ط1/1994.
- بدر الدين بن تريدي، قاموس التربية الحديث، الجزائر، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية 2010.
- حاجي فريد، بيداغوجيا التدريس بالكفاءات الأبعاد والمتطلبات، الجزائر، دار الخلدونية، 2000.
- محمد مفتاح، مساءلة مفهوم النص، المغرب، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، 1997.
- أنطوان صباح، تعليمية اللغة العربية، ج2، بيروت، دار النهضة العربية، سنة 2008.
- المصطفى بوشوك: تعليم وتعلم اللغة العربية وثقافتها،
- فهم مصطفي، مهارات القراءة، قياس وتقويم،
- فريدة شنان ومصطفي هجرسي، المعجم التربوي، الجزائر، المركز الوطني للوثائق التربوية، 2009.
- منهاج السنة الأولى من التعليم المتوسط، منشورات وزارة التربية الوطنية.
- حسني عبد الهادي، القراءة طبيعتها ومناشط تعليمها،